



[aharchaou.rhali@gmail.com](mailto:aharchaou.rhali@gmail.com)

## اللغة والمعرفة .. دراسات في اكتساب العربية وتعلمها Language and Cognition ... Studies in acquisition and Learning Arabic

أحشاو أرحاؤ - استاذ علم النفس

مختبر الأبحاث والدراسات النفسية والاجتماعية - جامعة فاس - المغرب

إن هذا الكتاب الصادر في طبعته الأولى 2022 ضمن منشورات المركز الثقافي للكتاب والتوزيع ببيروت والدار البيضاء، يتكون من 424 صفحة موزعة على مقدمة وسبعة فصول ثم لائحة المراجع.

### فهرس المحتويات

#### تقديم

#### الفصل الأول: المعرفية وسيرورات اكتساب اللغة وتعلمها

1. سيرورات اكتساب المعارف بين النمو والتعلم
  - 1.1. المقاربة السلوكية
  - 2.1. المقاربة البنائية
  - 3.1. المقاربة المعرفية
2. علاقة الأم بالطفل وسيرورة اكتساب اللغة
  - 1.2. المقاربات النظرية لاكتساب اللغة (سكينر-تشومسكي- بياجي - برينر )
  - 2.2. مكانة الأم في سيرورة اكتساب اللغة عند الطفل
  3. دور الوعي في اكتساب اللغة ونموها
  - 1.3. دور الوعي اللساني في نمو اللغة
  - 2.3. مظاهر التلاؤم اللفظي للأطفال

#### الفصل الثاني: المعرفية وسيرورات نمو اللغة وتعلم القراءة

1. التمثلات المطادالية ونمو اللغة لدى الطفل
  - 1.1. التمثل المطالساني والوعي
  - 2.1. المعارف المطالسانية وسيرورة نمو اللغة
  2. الوعي اللساني وسيرورة اكتساب اللغة وتعلمها
  - 1.2. اكتساب اللغة وتعلمها في ظل ثنائية الوعي / اللاوعي
  - 2.2. الوعي اللساني وتعلم القراءة
  - 3.2. الوعي اللساني وتعلم ثنائية الكتابة/القراءة

#### الفصل الثالث: السيكولوجيا اللسانية وتدرسية اللغة العربية

1. الأبعاد التربوية للسيكولوجيا اللسانية
  - 1.1. محددات اكتساب اللغة وتكوّن المعارف
  - 2.1. فرضية دور النمو الذهني في اكتساب اللغة
  - 2.2. فرضية دور النمو الإجرائي في اكتساب اللغة
  - 3.2. فرضية دور الأساليب المعرفية في اكتساب اللغة
  2. خصوصيات اللغة العربية وإكراهات تدرسيّتها
  - 1.2. خصوصيات اللغات الأجنبية والمنهجية التدرسية
  - 2.2. خصوصيات اللغة العربية والمنهجية التدرسية

## الفصل الرابع: مقياس الأداء في القراءة باللغة العربية

1. الإشكالية
2. الخلفية النظرية
- 1.2. التشخيص وتعلم القراءة
- 2.2. مفهوم القراءة ومراحل تعلمها
- 3.2. سيروية تعلم القراءة في العربية
- 4.2. مقياس القراءة في العربية كأداة للتشخيص
3. خطوات إعداد المقياس
- 1.3. الدراسة الاستطلاعية للمقياس (العيننة - المعالجة الإحصائية - المقياس في صورته الجديدة)
- 2.3. الدراسة الأساسية للمقياس (العيننة - المعالجة الإحصائية لأداء اتالمبحوثين)
4. أهداف المقياس ومقوماته
- 1.4. أهمية المقياس التشخيصية والتفسيرية
- 2.4. أهداف المقياس ومضامينه
- 3.4. مقومات إجراء المقياس وتطبيقه
- 4.4. أمثلة عن أجزاء المقياس وملاحقه (الكراسة الأولى - الكراسة الثانية - ملاحق)

## الفصل الخامس: مظاهر نمو الوعي بالازدواجية اللغوية عند الطفل

1. الإشكالية
2. الخلفية النظرية
- 1.2. الوعي وسيروية اكتساب اللغة الأم
- 2.2. الوعي والازدواجية اللغوية
3. المنهج والخطة (الفرضيات - العيننة - أدوات الدراسة - خطة الدراسة - أساليب تحليل البيانات)
4. نتائج الدراسة
- 1.4. عرض النتائج وتحليلها (تحليل نتائج الفرضيات الثلاث)
- 2.4. تفسير النتائج ومناقشتها (اختبار مصداقية الفرضيات الثلاث)

## الفصل السادس: مظاهر اكتساب دلالة الأفعال في اللغة العربية

1. خلاصات تتعلق بالمصادر النظرية
2. خلاصات تتعلق بالمقومات المنهجية
3. خلاصات تتعلق بأهداف البحث الفرعية
- 1.3. التمثلات الدلالية للأفعال وعناصرها البؤرية والصيغية
- 2.3. التمثلات الدلالية للأفعال ومظاهرها الأساسية
- 3.3. التمثلات الدلالية للأفعال ومظاهر تطورها مع التقدم في السن
4. خلاصات تتعلق بهدف البحث العام
- 1.4. المراحل الفرعية لتمثلات دلالية الأفعال المدروسة
- 2.4. المراحل الكبرى لتمثلات دلالية الأفعال المدروسة
- 3.4. سيرويات ارتقاء التمثلات الدلالية للأفعال المدروسة
- 4.4. عوامل اكتساب التمثلات الدلالية للأفعال المدروسة

## الفصل السابع: علم النفس ورهانات التعريب في التعليم العالي

1. مقدمات أساسية
2. وضعية تدريس علم النفس في الجامعة المغربية (الهوية والمأسسة - التكوين والبحث والإنتاج - الممارسة والتطبيق)
3. تجربة تعريب علم النفس كنموذج للمحاكاة

## المراجع

يشكل ظهور وتطور العلوم المعرفية السمة المميزة لأواخر القرن العشرين وأوائل القرن الواحد والعشرين. فعلم النفس والأعصاب واللسانيات والمعلومات والذكاء الاصطناعي والمنطق وفلسفة الذهن، كلها تخصصات تهتم اليوم بالمعرفية Cognition وتتقاسم دراسة موضوع الذكاء في جانبيه الطبيعي والاصطناعي. فإذا كان هدف هذه العلوم يتحدد في فهم النظام المعرفي وتفسير سيروراته للاكتساب والمعالجة، للاحتفاظ والاسترجاع، للاستخدام والتنفيذ، فإن الإقرار بعلم معرفي قائم الذات أصبح من الحقائق المؤكدة، وذلك بفضل التقدمات العلمية المحققة في المقاربات النفسية واللسانية والمعلوماتية، وفي دراسة ظواهر الدماغ وكفاءات الطفل المبكرة والتعلم المعقدة، حيث يلاحظ نزوع قوي من داخل هذه التقدمات نحو الأخذ بالبراديغم المعرفي وتبني مختلف مقوماته.

إذا كانت المعرفية Cognition تحيل من الناحية الاصطلاحية على المعرفة connaissance وعلى الظواهر الذهنية عامة، فالأكيد أنه لا التفكير ولا المعرفة بمعناها المؤلف وحدما اللذان يعتبران كظاهرة ذهنية، بل إن الإدراك والتمثل والتعلم واللغة كلها تتدرج في هذه الظاهرة. فمنذ نظرية تشومسكي Chomsky اللسانية خلال سبعينيات القرن العشرين، واللغة تتدرج مثلها مثل أي نشاط معرفي آخر، في خانة الأنشطة الذهنية التي وإن كانت طبيعتها تتوزع بين ما هو عصبى، وما هو رمزي، وما هو تحت - رمزي، ثم ما هو ميكانيكي، فهي لا تهتم فقط للإنسان والحيوان كأنظمة طبيعية، بل تهتم أيضا الآلات المفكرة والذكى كأنظمة اصطناعية. فالمعرفية التي تشير إذن إلى تعبئة الأنشطة الإدراكية والحسية والذهنية اللازمة لمعالجة المعلومات، يمكن لعلومها السابقة الذكر أن تشكل مفتاح فهم سيرورات التعلم وآلياته لدى المتعلم. وهذه مسألة بدأت تعطي ثمارها؛ إذ أن مقارنة عديد من الأفكار والمفاهيم في علاقتها بسيرورات الاكتساب والتعلم، وبالخصوص كفاءة المتعلم واستقلالته وقدرته على تعلم التعلم ثم أسلوب التعلم ولغاته، أصبحت تمثل أحد الإجراءات المفضلة لمقاربة إشكالية علاقة المعرفة باللغات في أبعادها المعرفية واللسانية والتعلمية، وبوضع خطط بيداغوجية ناجحة لتدريس تلك اللغات وتعليمها في كثير من المنظومات التربوية المتطورة.

تبعا لهذا التحديد يجب التنصيص على أن اللغة التي تشكل الخاصية الفريدة للإنسان قد اكتست أهمية متميزة ضمن التصورات العلمية الحديثة. وقد اهتمت اللسانيات أساسا بالبنية التركيبية للخطاب، واقتربت في هذا النطاق تصورات مختلفة، يمثل فيها النحو التوليدي لصاحبه تشومسكي النموذج الصوري الأكثر تداولاً وانتشاراً. فإلى جانب البنات السطحية القابلة للملاحظة، توجد البنات العميقة التي تحكم البنات الأولى وتحددها. وهكذا فإذا كان التمييز اللساني بين كفاءة المتكلم وأدائه يشكل نهجا معمولاً به، فإن الثورة اللسانية كانت بمعنى من المعاني ثورة صورية formaliste تتسلم بأن الواقعي يمكن ترميزه وتفكيكه عن طريق التوظيف الجيد لقواعد إعادة الصياغة والكتابة. غير أن مقترحات النحو التوليدي لم تكن سوى علامات تبشر بتجديد نظري أكثر تطرفاً. بالفعل إن تطبيق التحويلات التركيبية المقرونة بفهرسة معجمية بسيطة، قد أظهرت محدوديتها كطريقة لبيان تعقيد الإنتاجات اللغوية وفهمها؛ إذ أن هذه الأخيرة تستلزم أيضا الأخذ بعين الاعتبار وحدات للتأويل أكثر تعقيدا من المداخل المعجمية البسيطة. فالفهم الذي يتولد بدون أدنى شك عن سيرورة التحليل الدلالي والتداولي، يحيل إلى المعرفة التي لدى المتكلم عن ذاته وعن العالم. وهكذا فقد اتضح أن فهم اللغة وتفسيرها لن يتأتيا إلا باعتماد مفهومي التمثل والمعرفة (Tiberghien, 1989 : 15).

يشكل ظهور وتطور العلوم المعرفية السمة المميزة لأواخر القرن العشرين وأوائل القرن الواحد والعشرين. فعلم النفس والأعصاب واللسانيات والمعلومات والذكاء الاصطناعي والمنطق وفلسفة الذهن، كلها تخصصات تهتم اليوم بالمعرفية Cognition وتتقاسم دراسة موضوع الذكاء في جانبيه الطبيعي والاصطناعي

إن الإقرار بعلم معرفي قائم الذات أصبح من الحقائق المؤكدة، وذلك بفضل التقدمات العلمية المحققة في المقاربات النفسية واللسانية والمعلوماتية، وفي دراسة ظواهر الدماغ وكفاءات الطفل المبكرة والتعلم المعقدة

إذا كانت المعرفية Cognition تحيل من الناحية الاصطلاحية على المعرفة connaissance وعلى الظواهر الذهنية عامة، فالأكيد أنه لا التفكير ولا المعرفة بمعناها المؤلف وحدما اللذان يعتبران كظاهرة ذهنية، بل إن الإدراك والتمثل والتعلم واللغة كلها تتدرج في هذه الظاهرة

يجب التنصيص على أن اللغة التي تشكل الخاصية الفريدة للإنسان قد اكتست أهمية متميزة ضمن التصورات العلمية الحديثة

قد اهتمت اللسانيات أساسا بالبنية التركيبية للخطاب، واقتربت في هذا النطاق

تصوراته مختلفة، يمثل فيها  
النمو التوليدي لصاحبه  
تشومسكي النموذج السوري  
الأكثر تداولاً وانتشاراً

أن مقترحات النمو التوليدي  
لم تكن سوى علامات تبشر  
بتجديد نظري أكثر تطرفاً

إن تطبيق التحولات التركيبية  
المقرونة بمهارة معجمية  
بسيطة، قد أظهرت  
محدوديتها كطريقة لبيان  
تعقدية الإنتاج اللغوية  
وفهمها

الفهم الذي يتولد بدون  
أدنى شكل من سيروية التحليل  
الدلالي والتداولي، يحيل إلى  
المعرفة التي لدى المتكلم عن  
ذاته وعن العالم.

أن علاقة اللغة بالمعرفية  
أصبحت تتقوى وتتوطد منذ  
العقدين الأخيرين من القرن  
العشرين إلى الآن

الكل يتفق على أن المعرفية  
البشرية تدبّر بجوهر  
خصوصيتها، مقارنة بالمعرفية  
الحيوانية، لقدراتها اللغوية  
وكفاءاتها اللسانية

ظهور اللغة وتطورها على  
امتداد التاريخ قد واكبها  
وتسبباً إلى حد كبير في  
القفزة النوعية التي تفصل  
الجنس البشري عن أقرب أنواع  
الحيوانات إليه على هذا  
الصعيد

إن المعالجات التي تتكون هنا

الراجح إذن، أن علاقة اللغة بالمعرفية أصبحت تتقوى وتتوطد منذ العقدين الأخيرين من القرن العشرين إلى الآن. فظهور تقنيات التصوير الدماغي، وتطور الأساليب التجريبية والإحصائية، وتجويد البحث في اكتساب اللغة واضطرابات النمو وصعوبات التعلم، وتقدم البحث اللساني في كل ما هو تركيبى ودلالي وتداولي، كلها مؤشرات وقرائن على التقارب المتزايد بين اللغة والمعرفية الإنسانية عامة. فقد أضحت هذه العلاقة تحتل موقعا متميزا في العلوم المعرفية، بحيث صار في باب المؤكد أن الكل يتفق على أن المعرفية البشرية تدبّر بجوهر خصوصيتها، مقارنة بالمعرفية الحيوانية، لقدراتها اللغوية وكفاءاتها اللسانية. فظهور اللغة وتطورها على امتداد التاريخ قد واكبها وتسبباً إلى حد كبير في القفزة النوعية التي تفصل الجنس البشري عن أقرب أنواع الحيوانات إليه على هذا الصعيد. ففي ظل هذه المؤشرات والقرائن، يمكن القول إن علاقة اللغة بالمعرفية تندرج في صميم السجلات الكبيرة التي تخترق العلوم المعرفية الحالية بمختلف تخصصاتها ومقارباتها.

وكما هو معلوم فالبراديغم المعرفي الذي يهيمن على المعرفية الإنسانية، قد تطور بفعل نظريتي كل من تشومسكي Chomsky في اللسانيات، وفودور Fodor في السيكولوجيا المعرفية، اللتان تشتركان في فرضية إسناد قدرات فطرية للذهن البشري، قوامها إجراء حسابات من النوع المنطقي - الجبري - logico - algébrique، تكفي لتوضيح الخصائص الأساسية لعمله واشتغاله. فإذا كان تشومسكي يسلم بامتلاك الإنسان لعضو لغوي فطري يتألف من نظام حاسوبي Système computationnel ومن معجم؛ بحيث إن كفاءته اللسانية تُستمد أساساً من قدرة هذا النظام على إنجاز عمليات حسابية حول الوحدات المعجمية التي تؤدي إلى إنشاء بنيات تركيبية قوامها توضيح القوة التعبيرية للغات البشرية، فإن فودور يدافع عن فكرة أن أنشطة الإنسان الذهنية رفيعة المستوى من قبيل: العلاقات المنطقية، المعتقدات، الاستدلالات، هي نتيجة نظام حاسوبي مركزي، يعمل وفق لغة منطقية يتقاسمها البشر على الصعيد العالمي. إنها لغة الفكر التي ينعته أيضاً بـ "الذهنية le mentalais"؛ بحيث إن المعالجات التي تتكون هنا أيضاً من العمليات الحسابية، تعمل هذه المرة بطريقة أكثر كلاسيكية على رموز وقضايا هذه اللغة المنطقية. فالأمر يتعلق باستنتاج قضايا جديدة بواسطة عملية الاستدلال، على منوال ما يقوم به برنامج معلوماتي مُحَمَّل بقواعد تركيبية للاستنباط المنطقي. سيتم ربط هذا النظام بالوحدات الهامشية المسؤولة عن ترجمة الأنواع المختلفة الممتدة من الإدراك إلى الذهنية، بما في ذلك اللغة بطبيعة الحال. فالنظام المركزي هو الوحيد الذي ستكون لديه القدرة على استقراء وربط المعلومات الآتية من صيغ منفصلة، في حين أن الوحدات الهامشية عادة ما تعمل بكيفية آلية ولا واعية، وبشكل مستقل عن بعضها البعض (Fodor, 1986).

الواضح أن هاتين النظريتين تبدوان متوافقتين تماماً؛ إذ أن ربط عضو اللغة عند تشومسكي بوحدة معالجة اللغة عند فودور، سيفضي لا محالة إلى هندسة شاملة يمكن توظيفها في وصف وتفسير اللغة، تمثلاً وتوصلاً ثم فهماً وإنتاجاً. لكن مع ذلك فالأكيد أن تشومسكي (1995) لا يخفي تردده القوي بخصوص هذا التحديد، حيث نجده يُقر من جهة بأن نموذج عبارة عن صَوْرَةٍ مجردة Formalisme abstrait، قوامها بيان كفاءة متكلمي اللغة وليس أداءهم، ويصادر من جهة أخرى بأن هذه الكفاءة لا تخضع للنظرية اللسانية بل للسيرورات النفسية التي رفض الحديث عنها. فكما أتينا على ذكره، إن نظام تشومسكي الحاسوبي يأخذ الوحدات المعجمية كمدخلات، والأشكال الصوتية والمنطقية كمخرجات، بينما يلاحظ أن وحدة فودور القالبية لمعالجة اللغة نادراً ما تمت إثارتها من لدن أنصار المعرفانية، فودوريين كانوا أم تشومسكويين. فالخطاظة التي يقترحها هؤلاء لفهم ملفوظ ما تتحدد في سيرورة تغذيتها وحدة لسانية هي التي تسمح للنظام المركزي بالانتقال من شكله الصوتي إلى شكله المنطقي، آخذاً بعين الاعتبار

أيضا من العمليات الحسابية،  
تعمل هذه المرة بطريقة أكثر  
كلاسيكية على رموز وقضايا  
هذه اللغة المنطقية

النظام المركزي هو الوحيد  
الذي ستكون لديه القدرة  
على استقراء وربط المعلومات  
الآتية من صيغ منفصلة، في  
حين أن الوحدات الصامشية  
مادة ما تعمل بكيفية آلية ولا  
واعية، وبشكل مستقل عن  
بعضها البعض

إن نظام تشومسكي الحاسوبي  
يأخذ الوحدات المعجمية  
كمدخلات، والأشكال الصوتية  
والمنتجة كمخرجات

يبقى البراديغم المعرفي  
البنائي الذي ينفرد بمزايا  
التنسيق بين تخصصات العلوم  
المعرفية، وتوظيف كل من  
الرياضيات والمعلومات في  
نمذجة الظواهر المعرفية التي  
صمدت خلال العقود الأخيرة  
أمام المقاربة المنطقية -  
الحسابية السائدة، هو البديل  
المعول عليه حسب كثير من  
الباحثين ذوي التوجه المعرفي

عوامل الإدراك البصري،  
والتجربة الحسية - الحركية،  
والتباين بين الشكل التركيبي  
للملفوظ ومحتواه الدلالي، كلما  
أضحى تشكل محددات  
محورية في فهم البنية الدلالية  
لغة

دراسة البنيات النحوية ليست  
هي السبيل الصحيح لهم  
وتفسير جوهر اللغة، بل إن  
البحث في الدلالة هو الذي

معطيات منطقية إضافية ناجمة عن وحدات هامشية، ليقوم بعد ذلك بالمعالجة الذهنية (الحسابية) لدلالة  
الملفوظ المقصود. والأكد أن أعمالا كثيرة في مجال التداولية La Pragmatique التي يتلخص دورها  
في وصف العمليات الاستدلالية وقواعدها الأساسية لحساب وتقدير القوة الخطابية والدلالية لملفوظات  
اللغة (Sperber et Wilson 1989)، ترتكز حسب مؤشليير Moeschler وريبول Reboul (1994)  
على فرضية أن الشكل المنطقي يشكل المحتوى القَصوي Contenu propositionnel للملفوظ  
المقصود.

الواضح أن هذا التوزيع للمهام بين اللسانيين والتداوليين يعتليه عيب إخفاء عدد من الصعوبات التي لا  
يتم التعامل معها من قبل كلا الطرفين؛ إذ أن التوزيع المقصود يكمن في إحالة كل واحد من الطرفين  
المشكل على الآخر دون الانشغال كثيرا بمعرفة ما إذا كان يمكنه الاعتناء به بشكل فعال. وبهذا المعنى  
يمكن الحديث عن سوء فهم حقيقي للأساس الذي تتبني عليه المقاربة المعرفية بأكملها، وبالتالي يبقى  
البراديغم المعرفي البنائي الذي ينفرد بمزايا التنسيق بين تخصصات العلوم المعرفية، وتوظيف كل من  
الرياضيات والمعلومات في نمذجة الظواهر المعرفية التي صمدت خلال العقود الأخيرة أمام المقاربة  
المنطقية - الحسابية السائدة، هو البديل المعول عليه حسب كثير من الباحثين ذوي التوجه المعرفي  
(Victori, 2006).

توضيحا لهذه المسألة نشير إلى أن اللسانيات المعرفية التي انطلقت في ثمانينات القرن العشرين  
بالولايات المتحدة الأمريكية، راهنت على ربط النشاط اللغوي رغم خصوصياته، بالمبادئ والآليات المعرفية  
العامة المفصلة في جميع الأنشطة المعرفية الأخرى. لذا فعوامل الإدراك البصري، والتجربة الحسية -  
الحركية، والتباين بين الشكل التركيبي للملفوظ ومحتواه الدلالي، كلها أضحت تشكل محددات محورية في  
فهم البنية الدلالية للغة. والأكد أن هذا الرهان يتعارض جذريا مع تصورات كل من تشومسكي وفودور  
لعلاقات اللغة بالمعرفية. فاللسانيات المعرفية هاته، ترفض تماما الأسبقية التي تمنحها اللسانيات التوليدية  
للتركيب Syntaxe، ولا تعتبر اللغة ملكة فطرية مستقلة ذات خصائص حاسوبية فريدة لا نظير لها في  
بقية النظام المعرفي (Langacker, 1987). فدراسة البنيات النحوية ليست هي السبيل الصحيح لفهم  
وتفسير جوهر اللغة، بل إن البحث في الدلالة هو الذي يشكل المسعى الناجع لبلوغ تلك الغاية. فعلى  
أساس أن الغرض من اللغة يتحدد في إنشاء البنيات الدلالية المعقدة التي تتعدت أحيانا بالتمثلات  
المعرفية، وأحيانا بالبنيات المفهومية، وأحيانا أخرى بالفضاءات الذهنية، فإن دراستها النحوية تستهدف  
توضيح الطريقة التي تتبعها الوحدات اللسانية كنوع من الطوب الرمزي الأولي لإنتاج تمثلات دلالية  
معقدة؛ بحيث إن كل اختلاف في الشكل تقابله اختلافات في التمثل الذهني الذي يقابله.

إذن، يبدو أن العلاقة بين اللغة والمعرفية ليست أحادية الاتجاه والمدلول. فإذا كانت دراسة الأنشطة  
المعرفية كالإدراك والذاكرة تسمح بفهم أفضل للظواهر اللغوية الصرفة، فيمكن لدراسة اللغة أن تكشف في  
المقابل عن أنماط الاشتغال التي تنطبق على تلك الأنشطة المعرفية ذاتها. وبهذا المعنى يمكن للسانيات  
أن تساعد على فهم أعمق لعمل الفكر والمعرفية عامة. وهذه مسألة يباركها باحثون أمثال لاكوف Lakoff  
الذي يدافع عن فكرة أن المجاز métaphore فضلا عن مصدره اللغوي، فهو يشكل في الواقع آلية  
معرفية عامة جداً، تعمل في جميع مجالات التفكير بما في ذلك تطوير العلوم الرياضية (Lakoff &  
Nuñez, 2000). وبالمثل فقد ذهب فوكونيير Fauconnier إلى الدفاع عن فكرة أن نظريته عن  
الفضاءات الذهنية يمكنها أن تفسر العمليات التي ينطوي عليها التفكير بشكل عام (Fauconnier, )

لكن في مواجهتها للنظريات اللسانية والسيكولوجية الحديثة، ورفضها المسبق لمسلمات كل من نظرية تشومسكي عن فطرية اللغة، ونظرية فودور عن استقلالية قوالب اللغة، تكاد اللسانيات المعرفية الوقوع في شباك مخاطر كل من الفوضوية والرجعية، لأنها من خلال تشبعها النسبي بالحس المشترك، نجدتها تتبنى بعض قناعات المقاربات "القبل علمية" للغة. وهكذا فإذا كان من المقبول القول إن معرفتنا للعالم غالباً ما يتم إثرائها على حساب الحدس الفوري، وإن فطرية النحو الكوني لتشومسكي، وقالبية الذهن لفودور، كلها عناصر تقدم بدائل ساحرة وجذابة للاعتقاد الشعبي الذي يرى في اللغة ملحقا لمؤهلاتنا وملكاتنا المعرفية العامة، فالأكيد أن الإغراء أو الإثارة ليس هو البرهان أو الإقناع؛ بحيث إن بعض الأدلة التي تدعم بها اللسانيات الأوثونوكسية قناعاتها تتأسس في نظر كثير من الباحثين على مغالطات عميقة لا مجال للدخول في استحضار تفاصيلها هنا.

يبقى البديل مفتوحاً بين لسانيات مستقلة أو داخلية، ولسانيات تابعة أو خارجية، ترتبط أساساً بمؤهلاتنا المعرفية العامة ومعرفتنا للعالم أخرى.

إن بعض الأدلة التي تدعم بها اللسانيات الأوثونوكسية قناعاتها تتأسس في نظر كثير من الباحثين على مغالطات عميقة لا مجال للدخول في استحضار تفاصيلها هنا.

يبقى البديل مفتوحاً بين لسانيات مستقلة أو داخلية، ولسانيات تابعة أو خارجية، ترتبط أساساً بمؤهلاتنا المعرفية العامة ومعرفتنا للعالم

الأكيد إذن أن اللغة التي تمثل الاختراع الهائل لدى الإنسان، كانت ولا تزال تحظى باهتمامه البالغ على مستوى البحث والمقاربة. وفي ضوء هذا الاهتمام اتضح أن اللغة ذات الوظيفة التمثيلية والتواصلية في نفس الوقت، لا يمكن اختزالها في بعد دون آخر. فبالإضافة إلى بعدها التمثلي المبني على المعالجة اللسانية المستقلة عن السياق، فهي في واقع الأمر تبقى مشروطة ببعد تداولي هو الذي يؤكد مشروعية الطابع التواصلية لخطاباتها وملفوظاتها المحملة بالدلالات والمقاصد والغايات.

إن استقلالية اللغة التي كانت ولا تزال تثير إيماناً عميقاً يشبه الهذيان لدى كثير من الدوائر والمجامع اللسانية، يمثل مفارقة تترجمها الادعاءات "العلمية" للسانيات المعاصرة من جهة، ودور السياسات الأكاديمية في صون اللغات وتطويرها وتجويدها من جهة أخرى.

لكن ما المقصود بمعرفة الإنسان ونشاطه الذهني حول اللغة بمختلف مكوناتها اللسانية والتمثيلية والتواصلية؟ وما علاقة كل ذلك بسيرورات النمو والاكتمال وبعملات التعلم والتعليم؟ وإلى أي حد يمكن كشف وتشخيص مراحل تلك السيرورات ومحدداتها وتمظهراتها؟ ثم ما هي مقومات سيكولوجية اكتساب وتعلم اللغة العربية في ظل خصوصياتها الفونولوجية والمورفولوجية والبيداغوجية؟

ما هي مقومات سيكولوجية اكتساب وتعلم اللغة العربية في ظل خصوصياتها الفونولوجية والمورفولوجية والبيداغوجية؟

إذا كانت الإجابة على هذه الأسئلة تشكل محور الكتاب الحالي الذي يقارب بصورة خاصة موضوع سيكولوجية اكتساب وتعلم اللغة العربية في ظل علاقة اللغة بالمعرفية، فإن السيكولوجيا المعرفية التي تسلم بقابلية السيرورات المعرفية عامة واللغوية خاصة للتدرج النمائي الذي لا تتخلله أية مراحل كونية ثابتة، تمثل الميدان المرجعي الذي يندرج فيه هذا الموضوع. بمعنى السيكولوجيا التي تُعَرَّفُ بامتلاك الطفل منذ سن مبكر لمعارف ونظريات تهم حتى الآن ميادين الفيزياء والبيولوجيا والسيكوسوسيولوجيا وإلى حد ما اللغة والرياضيات (أحرشوا، 2015).

إن السيكولوجيا المعرفية التي تسلم بقابلية السيرورات المعرفية عامة واللغوية خاصة للتدرج النمائي الذي لا تتخلله أية مراحل كونية ثابتة، تمثل الميدان المرجعي الذي

وهنا يجب التأكيد على أنه إذا كنا لحد الآن قد ساهمنا في دراسة مقومات ومظاهر علاقة اللغة بالمعرفية عبر تأطير وتوجيه أولاً مجموعة من الأبحاث والأطروحات الجامعية التي تتحدد أهم محاورها في: الذاكرة واللغة والقراءة، الذاكرة والتفكير الرياضي، اللغة والحجاج والتواصل، اللغة وسيرورات النمو والتعلم، التمثلات وتعلم المعارف، سيكولوجيا المشاكل والمواجهة، اللغة ونظرية الذهن، وعبر المساهمة



ساهمنا في دراسة مقومات ومظاهر علاقة اللغة بالمعرفية عبر تأطير وتوجيه أولا مجموعة من الأبحاث والأطروحات الجامعية

إن مسعانا الأساسي في هذا الكتاب الذي يشكل في الأصل رسدا مفصلا لنتائج وخطاوات ما راكمته تجربتنا بهذا الخصوص، يتوخى تدعيم هذا التوجه من خلال الكشف عن مقومات ومظاهر علاقة الأنشطة المعرفية بسيرورات اكتساب اللغة وتعلمها

أن هذا المؤلف الذي يشكل حصيلة تراكمية لتجربتنا الطويلة في التأطير والتأليف، وللمسعى الذي نهجناه منذ ثلاثة عقود من الزمن للانتقال بالسيكولوجيا في المغرب والعالم العربي عامة من طابعها الكلاسيكي المحكوم ببراديجم سلوكي تراجع صيته وقلّ بريقه، إلى طابعها الحديث المعرفي على خارطة العلوم المعرفية الحالية

الثابت أن الطفل يمتلك معارف مبكرة حول طبيعة الذهن وأساليبه اشتغاله، وأنشطته المختلفة بما فيها الأنشطة اللغوية

في حدود معرفتنا، إن الأعمال التي خصصت لحد الآن لسيكولوجيا اكتساب وتعلم العربية في علاقتها بالمعرفية، لا تزال محدودة جدا

ثانيا بعدد من المؤلفات والدراسات التي قاربت أنشطة معرفية ولغوية متنوعة من قبيل: الطفل واللغة، الازدواجية اللغوية، سيكولوجيا القراءة، السيكولوجيا وتدرسية العربية، سيكولوجيا اكتساب اللغة، التمثل الدلالي والمطادلالي للغة، السيكولوجيا وعلم الدلالة، علاقة السيكولوجيا باللسانيات، الاكتساب اللغوي والنمو المعرفي، دور اللغة في النمو المعرفي، الفهم السيكولوجي للدلالة اللغوية، السيكولوجيا ونظرية التواصل اللغوي، فإن مسعانا الأساسي في هذا الكتاب الذي يشكل في الأصل رسدا مفصلا لنتائج وخطاوات ما راكمته تجربتنا بهذا الخصوص، يتوخى تدعيم هذا التوجه من خلال الكشف عن مقومات ومظاهر علاقة الأنشطة المعرفية بسيرورات اكتساب اللغة وتعلمها، وبالأخص محددات تكونها وعوامل انبثاقها وأشكال تحولها، وما لهذا الكشف من قيمة علمية وفعالية معرفية ونجاعة تطبيقية في ميادين التربية والتكوين، التعلم والتعليم، التقويم والتوجيه، والتشخيص والتكفل.

لا نشك إذن في أن هذا المؤلف الذي يشكل حصيلة تراكمية لتجربتنا الطويلة في التأطير والتأليف، وللمسعى الذي نهجناه منذ ثلاثة عقود من الزمن للانتقال بالسيكولوجيا في المغرب والعالم العربي عامة من طابعها الكلاسيكي المحكوم ببراديجم سلوكي تراجع صيته وقلّ بريقه، إلى طابعها الحديث المحكوم بسيادة البراديجم المعرفي على خارطة العلوم المعرفية الحالية، سيحظى باهتمام وشغف القارئ العربي نظرا لاعتبارات علمية وعملية عديدة نجمل أهمها في الأتي:

- الأكد أن البحث في اللغة في علاقتها بالمعرفية يشكل توجهها جديدا في حقل علم النفس بالمغرب والعالم العربي عامة. فالخوض في مقارنته كمبحث تطوره مقومات السيكولوجيا المعرفية الحديثة، لا يزال في بداياته الأولى حتى بالنسبة لبعض الدول المتقدمة ذات المنظومات السيكولوجية المتطورة. فبالرغم من أن موضوع هذا الكتاب يندرج في ميدان تتقاطع فيه أغلب تخصصات العلوم المعرفية السالفة الذكر، فقد فضلنا عدم الدخول في الاستحضار الكثيف لتفاصيل هذا الموضوع عند كل تلك التخصصات، والاكتفاء فقط بتقديم قراءة تركيبية فاحصة وصارمة، من داخل السيكولوجيا المعرفية، لعلاقة اللغة بالمعرفية في أصولها ومحدداتها ومظاهرها العلمية والمعرفية، النظرية والتطبيقية والنفسية والتربوية.

- الثابت أن الطفل يمتلك معارف مبكرة حول طبيعة الذهن وأساليبه اشتغاله، وأنشطته المختلفة بما فيها الأنشطة اللغوية. فهو عادة ما يستعمل ألفاظا ومفاهيم تشير إلى حالات ذهنية كالرغبات والمقاصد والمعتقدات. هذه حقائق تقول بها أغلب الدراسات النفسية الحديثة التي خصصت منذ ثمانينيات القرن العشرين لتمثالات الطفل وأحكامه حول الأنشطة الذهنية واللغوية. ولن نقشي سرا إن أشرنا بهذا الخصوص إلى أن إنجاز هذا الكتاب يدين، مثلما سبقت الإشارة إلى ذلك، بالشيء الكثير لمساهمتنا من جهة أولى في تأطير عدد من الأبحاث والأطروحات الجامعية، ومن جهة ثانية في تقديم أوراق علمية في عدد من المؤتمرات الوطنية والعربية والدولية، ومن جهة ثالثة وأخيرة في نشر سلسلة من المؤلفات والأبحاث والمقالات في موضوع اللغة في علاقتها بالمعرفية.

- في حدود معرفتنا، إن الأعمال التي خصصت لحد الآن لسيكولوجيا اكتساب وتعلم العربية في علاقتها بالمعرفية، لا تزال محدودة جدا. فباستثناء بعض الأعمال المنشورة لباحثين أمثال فريد Farid (1996) وبالعجوزة Belajouza (2003) ورومضان Romdhane (2003) والزاهير Ez-zaher (2008)، أحرشاو (1993، 2009، 2007، 2014)، وأبو ربيعة (1996، 1997)، وبنعيسى (2008)، التي ذهبت إلى المقاربة السيكولسانية لبعض ظواهر اللغة العربية، فالواقع أن هذا الميدان لا

يزال بركا وفي حاجة ماسة إلى البحث والدراسة. ولهذا فليس من باب المبالغة إن كنا نعتبر أن الكتاب الحالي يكاد يشكل أحد تلك الأعمال العلمية القليلة والاستثنائية بهذا الخصوص.

- الواقع أن الرهان الأساسي لهذا المؤلف، حتى وإن كان سيكولوجيا معرفيا في جوهره فهو تربوي بيداغوجي في مراميه، بحيث يستهدف تعبئة أطراف الفعل التربوي وتحفيزهم على التعامل مع المتعلم كعنصر نشيط وفعال، قادر على التحليل والتظير قبل انخراطه في سيرورة التمدرس أو التعلم المنظم. فقد عملنا على تغديته بمعارف وخلاصات علمية وازنة، يمكن للمنظومة التربوية أن تأخذها بعين الاعتبار. فالواقع أن الطفل لا يأتي إلى المدرسة صفحة بيضاء كما يعتقد ويشاع في الغالب، بل يجيء إليها وهو محمل بمعارف وكفاءات ونظريات أولية تؤهله لاستعمال النظام اللغوي في أبعاده التمثيلية والتواصلية، وما على المدرسة إلا أن تصححها وتطورها وتجودها لكي تأخذ طريقها نحو الاكتمال والتماسك والدقة.

إذن لا ينتابني أدنى شك في أن أغلب المهتمين بسيكولوجيا اللغة في علاقتها بسيرورات النمو والتعلم ، وبالخصوص الأباء والمربين والمدرسين والموجهين والباحثين والطلبة، سيجدون في هذا الكتاب خلاصة تركيبية لمعلومات ومعارف جد حديثة، ولنتائج وخلاصات جد واعدة، حول طبيعة علاقة اللغة بالمعرفية عامة. فعلى أساس مزاجته بين أطروحات وأفكار نظرية وبين وقائع ونتائج ميدانية، نجده يضع بين أيدي القارئ المغربي والعربي عامة معارف وحقائق بالغة الأهمية وعسيرة التوافر والولوج، لأن أغلبها مستمد من كتابات وأبحاث ومجالات علمية جد متخصصة، ومن دراسات تجريبية وميدانية محلية قمنا بإنجاز بعضها وأشرفنا على إنجاز بعضها الآخر.

بخلاصة، إن أهمية هذا الكتاب الذي يضع رهن إشارة القارئ العربي أحد أهم المراجع عن سيكولوجيا اكتساب اللغة العربية وتعلمها، تكمن في جدة موضوعه وخصوبة إشكاليته وثراء محتوياته. فقد تطلب تجسيد أطروحته المركزية المبنية على طبيعة علاقة اللغة بالمعرفية، إنجاز دراسات تركيبية، نظرية وميدانية، تمثلت أهم مضامينها ومحاورها في الفصول السبعة التي تؤثته، حيث خصصنا أولها للمعرفية وسيرورات اكتساب اللغة وتعلمها، لمقاربة، وثانيتها لسيرورة اكتساب اللغة وتعلم القراءة، وثالثها للسيكولوجيا اللسانية وتدرسية اللغة العربية، ورابعها لتقويم الأداء القرائي في العربية، وخامسها للازدواجية اللغوية عند الطفل، وسادسها للتمثيلات الدلالية لبعض الأفعال العربية، وأخيرا سابعها لتجربة تعريب وتدریس علم النفس بالعربية في الجامعة.

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Documents/BR1AharchaouLang&Cognition.pdf>

\*\*\* \*\*

" شبكة العلوم النفسية العربية "

إنجازات الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

الكتاب السنوي 2022 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الثاني عشر)

الشبكة تدخل عامها 22 من التأسيس و 20 على الويب

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

اشتراكات العضوية بموسسة العلوم النفسية العربية للعام 2022

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_category=36&controller=category&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3)

أن هذا الميدان لا يزال بركا وفي حاجة ماسة إلى البحث والدراسة. ولهذا فليس من باب المبالغة إن كنا نعتبر أن الكتاب الحالي يكاد يشكل أحد تلك الأعمال العلمية القليلة والاستثنائية بهذا الخصوص.

الواقع أن الرهان الأساسي لهذا المؤلف، حتى وإن كان سيكولوجيا معرفيا في جوهره فهو تربوي بيداغوجي في مراميه

الواقع أن الطفل لا يأتي إلى المدرسة صفحة بيضاء كما يعتقد ويشاع في الغالب، بل يجيء إليها وهو محمل بمعارف وكفاءات ونظريات أولية تؤهله لاستعمال النظام اللغوي في أبعاده التمثيلية والتواصلية

إن أهمية هذا الكتاب الذي يضع رهن إشارة القارئ العربي أحد أهم المراجع عن سيكولوجيا اكتساب اللغة العربية وتعلمها، تكمن في جدة موضوعه وخصوبة إشكاليته وثراء محتوياته